﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: 80]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا ذكرَ اللّٰه أفعالَ اليهودِ القبيحةَ؛ مِنْ تحريفِهم كتابَ اللّٰهِ ونسبتِه إلى اللّٰه تعالى، وظنّهم أَنَّهم كَسبُوا ما حَصَلوا عليه مِنَ الثَّمنِ القليلِ، عطفَ عليه ما بيَّنَ بِسببِهِ جُرأتَهم على هذهِ الأفعالِ، وعدم اكتراثِهم بِما يَرتكبونَه مِنَ القبائحِ [1]، فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾، والآيةُ في الوقت نفسه إخبارٌ عن نوعٍ آخرَ مِنْ جناياتِهم، وهو ادّعاؤُهم أنَّ النّارَ لا تَمسُّهم إلَّا أَيّامًا مَعدودةً، فاجتمعَ عليهم قُبحُ الفعلِ بتحريفِ كتابِ اللّٰهِ ونسبتِهِ إلى اللّٰهِ، وقُبحُ القولِ وكَذِبُهُ، بادِّعائِهم أَنّهم لا تَمسُّهم النَّارُ في الآخرةِ إلّا أَيَّامًا معدودةً قليلةً[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَقَالُواْ﴾: القولُ هنا يدلُّ على الاعتِقاد؛ لأَنّ الأصلَ في القولِ أَن يكونَ صِدقًا وعلى وفقِ الاعتِقادِ[3].

القائل: هم بنو إسرائيل.

2) ﴿تَمَسَّنَا﴾: المسُّ يُقالُ في كلِّ ما يَغشاه الإنسانُ فيما يكونُ معه إدراكٌ بحاسّةِ اللّمسِ، ويقالُ في كلِّ ما يَنالُ الإنسانَ من أذًى، وأوّلُ درجاتِ الأذى يقالُ له مَسٌّ، وهو أقلّ تمكُّنًا من الإصَابَة، وَهُوَ أقلُّ درجاتِها، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: 48]؛ أي: أوَّلَ ما يَنالُكُمْ منها[4].

3) ﴿أَيَّامًا﴾: اليومُ يُعبَّرُ بِهِ عن وقتِ طلوعِ الشَّمسِ إلى غروبِها، وقد يعبَّرُ بِهِ عن مدّةٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/494.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/579.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/579.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والكفوي، الكليات: (مسس).

من الزَّمانِ؛ أيَّ مدّةٍ كانت، وأيَّامٌ على وزنِ أَفْعال، وهو جمعُ قلَّةٍ يتناولُ من الثَّلاثةِ إلى العَشرةِ، واليوم في الآيةِ يُقصَدُ به مدّةُ اليومِ المعروفِ[1].

4) ﴿مَّعۡدُودَةٗۚ﴾: أصلُ الكلمةِ من (عدّ)، وهو ضَمُّ الأعدادِ بعضِها إلى بعضٍ، وهو الإحصاءُ، و﴿أَيَّامَا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ بمعنى محصورةٍ في أيَّامٍ قليلة؛ لأنّ كلمةَ أيامٍ لا تُضافُ إلَّا إلى العشرَة فَمَا دونهَا لَا إِلَى مَا فَوْقهَا. وَقَولُه تَعَالَى: ﴿أَيَّامَا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ قدّروها بسبعَةِ أَيَّام[2]، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: 20]، وقد شاعَ في العُرفِ والعوائدِ أَنَّ كلمةَ المعدودِ تدلُّ على القلَّةِ أو ما يحصرُها العددُ، وذهب بعضُ المفسّرينَ إلى أنَّ الأيامَ هنا محدودةٌ بسَبعَةِ أيّامٍ أَوْ أَرْبَعينَ يومًا، لمناسباتٍ معيّنةٍ[3].

5) ﴿عَهۡدَا﴾: يدلُّ في الأصلِ على الاحْتِفَاظِ بِالشَّيْءِ، وَإِحْدَاث العَهْدِ بِهِ ومراعاتِه حالًا بعدَ حالٍ، وسُمِّيَ المَوثِقُ الّذي يلزمُ مراعاتُه عَهْدًا، وعَهِدَ فلانٌ إلى فلانٍ يَعْهَدُ؛ أي: ألقى إليه العهدَ وأوصاهُ بحفظِه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: 115]، والعهدُ لا يكونُ إلّا مؤكَّدًا[4]، والتعهُّدُ: الاحتفاظُ بالشَّيءِ وتجديدُ العهدِ به.

والعهدُ في الآيةِ يحتملُ أَنْ يكونَ بمعنَى الوَعدِ المؤكَّدِ والميثاقِ المحفوظِ على ما تدَّعونه، ويحتملُ أَنْ يكونَ المقصودُ هو الإيمانَ والعملَ الصالحَ[5]، والأوَّل أولى لمناسَبَتِه للسّياقِ.

6) ﴿يُخۡلِفَ﴾: مادة (خَلَفَ) تأتي لمعانٍ منها التغيّرُ وخلافُ القدّام، ومن التغيُّر إخلافُ الموعِدِ، يقال: وَعَدَني فأخلَفَني؛ أي: خالَفَ في الميعادِ، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: 77]، والخُلفُ يكونُ في المُسْتَقبَلِ كالكَذِبِ في الماضي، أو هو أَنْ تَعِدَ عِدَةً ولا تُنْجِزَها[6].

(1) الرّاغب، المفردات: (يوم).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، والكفوي، الكليات: (عدد).
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 1/448.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (عهد).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/171.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات ألفاظ القرآن، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (خلف).

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

وقال بَنُو إسرائيلَ مُعتقدِين جازِمينَ بقولهم: لنْ تصيبَنا النَّارُ في الآخرة إلّا أيامًا قليلةً مَقْضيَّة؛ فإذا انقضَت انقطعَ عنهم العذابُ، فأمرَ اللهُ رسولَه أنْ يقولَ لهم - مبطِلًا دعواهم - : أَعِندَكُم عهدٌ مِنَ اللهِ بهذا، فإنَّ اللهَ لا يُخلِفُ عهدَهُ؟ فإذا كانُوا لم يتّخذُوا عندَ اللهِ عَهدًا، لا بوعدٍ مؤكّدٍ بينَهم وبينَ اللهِ تعالى، ولا بعملٍ صالحٍ يوجِبُ ذلك، فما قولُهم إلَّا كَذِبٌ وافتراء[1].

## ❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

### التعبير بالإفراد في الأيام:

إيـجـاز الـقـول يناسبه الإفراد

جاء وصفُ ﴿أَيَّامًا﴾ مفردًا في آية البقرة، وجمعًا في آية آل عمران، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: 23-24]، والفرقُ بينهما: أنَّه لمَّا كانت آيةُ آلِ عمرانَ فيها بَسطٌ لحالِهم على سوءِ مرتكبِهم، ولم يقعْ في سورةِ البقرةِ تَعرُّضٌ لشيءٍ مِنْ ذلكَ، بَلْ أَوجزَ القولَ ولمْ يذكرْ سَبَبَهُ فناسبَ الإفرادُ الإيجازَ، وناسبَ الجمعُ الإسهابَ[2]، كما أَنَّ سياقَ آيةِ آلِ عمرانَ أشدُّ زجرًا لليَهودِ لشناعةِ أفعالِهم المذكورةِ في سياقِ آيةِ آلِ عمرانَ، ففيها ذكرُ كفرِهم بآياتِ اللهِ وقتلِهم النَّبيّينَ، والذين يأمرونَ بالقسطِ من النَّاسِ، وتولِّيهم عنْ حكمِ رسولِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ، فناسبَ أَنْ يقولَ ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

### سببُ إيثارِ كلمة ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾:

ذَكَرَ ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ولم يقلْ: أَعَاهَدْتُمْ اللهَ أَوْ أَعَاهَدَكُمُ اللهُ، لِمَا في دلالة الاتِّخَاذِ مِنْ تَوْكِيدِ العَهْدِ[3].

(1) الشوكاني، فتح القدير: 1/123، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 12.
(2) ابن الزبير، ملاك التأويل: 1/47.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/580.

### معنى الاستِفْهامِ في قولِه: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ و﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾:

تنـوّعُ المَعاني لتوسُّعِ التَّوجيهِ البَلاغيِّ

لمعنى همزةِ الاستِفهامِ في قولِه تعالى: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ثلاثةُ توجيهاتٍ:

أولًا: يحتملُ الاسْتِفهامُ أَنْ يكونَ إنكاريًّا توبيخيًّا، وتقديرُ الكلامِ: أتّخذتُم عندَ اللّهِ عهدًا أم أتقولُون على اللّهِ ما لا تعلمون؟ أي: قُلتُم ما قلتُمُوه وأنتُم تعلَمُون خلافَه، فانتَفَى الأمران، وعُلِم أَنَّ الكائنَ غيرُ ما ادَّعوه[1].

ثانيًا: يحتملُ أنْ يكونَ الاسْتِفهامُ في المَوضِعين تقريريًّا، ويكونُ الدّليلُ استدلاليًّا، والمعنى: إنَّ هذا القولَ لا يصدرُ إلَّا عن أحدِ أمرين: إمّا اتّخاذُ عهدٍ من اللّه، وإمَّا افتراءٌ وتقوّلٌ عليه، وَأَخْرَجَ ذَلِكَ مُخْرَجَ المُتَرَدَّدِ فِي تَعْيِينِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيرِ؛ فإذا كانَ اتّخاذُ العهدِ لم يحصُل، فأنتم تَفتَرُون على اللّه، فاستلزَمَ هذا الدّليلُ العقليُّ إلجاءَهم إلى الاعترافِ بأصدقِ الأمرين، وهو أنّهم يقولُون على اللّه ما لا يعلمون، وَنَظِيرُهُ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]، وَقَدْ عُلِمَ أَيُّهُمَا عَلَى هُدًى وَأَيُّهُمَا هُوَ فِي ضَلَالٍ[2]، فيكون من الأسلوبِ المنصِفِ الّذي يُؤتى بِهِ لتشكيكِ السّامعِ، فيرجِعُ إلى نفسِهِ ويخضعُ للحقِّ[3]، وقد جيءَ بِهِ هنا ليرجِعُوا إلى أَنْفسهم، فيتيقَّنُوا أَنْ لا عهدَ لهم عندَ اللّه، وأَنَّهم يفْتَرونَ على اللّه الكذبَ.

ثالثًا: يحتملُ أَنْ يكون الأول إنكاريًّا والثّاني تقريريًّا، والمعنى: يُنكِرُ عليهم اتِّخاذَ عهدٍ عندَ اللّهِ، ويُقرُّهم توبيخًا على أَنَّهم يقولون على اللّهِ ما لا يَعلَمُون، حين قالوا: لن تمسَّنا النَّار إلّا أيَّامًا معدودةً قليلةً منقضيةً[4].

### دلالة (الفاء) بين السَّببيّةِ والفصيحَةِ في قوله ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾:

أفادت الفاءُ السَّببيَّةَ، بترتُّبِ ما بعدَها على ما قبلَها؛ أي: يترتّبُ على اتّخاذِ العهدِ عندَ اللّهِ أَنْ لا يُخلِفَ اللّهُ عهدَه[5]، وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ الفاءَ هي الفصيحةُ التي

(1) الرازي، التّفسير الكبير: 3/567-668، والبقاعي، نظم الدرر: 1/496.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 1/449، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/580.
(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 246، والدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 1/621.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/158.
(5) الطيبي، فتوح الغيب: 2/551.

تُفصِحُ عن شرطٍ مقدَّر، والتقدير: (إن اتَّخَذْتُم عندَ اللَّهِ عهدًا فَلَنْ يخلفَ اللَّهُ عهدَه)، وعلى هذا تكون الجملةُ استئنافيَّةً اعتراضيَّةً[1].

### منْ بلاغةِ التّقديمِ والتَّأخيرِ في الظَّرفِ والجارِّ والمجرور:

عـهـدُ الـلـهِ له خَـصـوصـيَّـةُ التّعظيمِ

أصلُ الكلامِ (أتّخذتُم عهدًا عندَ اللهِ)، فقدَّمَ الظَّرفَ (عندَ اللهِ) على المفعولِ (عهدًا)؛ لإفادةِ العنايةِ والاهتمامِ بالظَّرفِ، للتَّذكيرِ بأَنَّ العهدَ عندَ اللهِ، وليسَ عندَ غيرِهِ لتعظيمِ العهدِ وإجلالِه، فيزدادُ الإنكارُ والتَّوبيخُ عليهم، كما قدّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ على المفعولِ في قولِه ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، والأصلُ (تقولُون ما لا تعلَمُون على اللهِ)؛ فقدّم لإفادة تعظيمِ التقوّلِ على اللهِ بما لايعلَمُونَ.

### بلاغةُ العُدولِ عن الضَّميرِ إلى الاسمِ الظَّاهرِ:

بـيـانُ أثـرِ اسـمِ الـلـهِ تـعـالى في الـقـلـوبِ، وقبحِ مـن لـم يـرتـدِع عند سماعِه

عُدِلَ عن الضَّميرِ إلى الاسمِ الظَّاهرِ في قولِه: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥ﴾؛ فلم يقلْ: (فلن يخلفَه اللهُ)، فأعادَ الاسمَ الظَّاهرَ (عهدَه) إشعارًا بأهميَّتِه، أو أَعادَهُ؛ لأَنَّ المرادَ بهِ جميعُ عهودِه؛ لِعمومِهِ بسببِ الإضافةِ فيدخلُ فيه العهدُ المعهودُ دخولًا أوليًّا.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلم يقلْ: (أم تقُولُون عليهِ ما لا تَعلَمون)، فذكر الاسمَ الظَّاهرَ الجليلَ؛ لنُكتَتين: إحداهما: للإشعار بعلَّةِ الحُكم؛ فإنَّ عدمَ الإخلافِ من قضيَّةِ الألوهية، والأخرى: لِتذكيرِ المخاطَبين باللّه وللتَّأثير فيهم، بتكرارِ اسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾؛ فإنّ تكرارَ اسمِ الملكِ العظيمِ لَهُ هَيبةٌ وإجلالٌ، لعلّهم بتكرّر سماعِه يتذكَّرون فيتأثَّرون فيُقلِعُون عن أفعالِهم القبيحة، فيتوبونَ إلى اللّهِ ويستغفرونَه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/121، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/580.

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### المسّ والإصابة:

قد يُقال: لِمَ قالَ في هذهِ الآيةِ ﴿تَمَسَّنَا﴾ ولم يقلْ (تصيبنا)؟ والجواب: للمناسبةِ بينَ قلَّةِ الإصابةِ في النَّارِ وضعفِها مع قلَّةِ الأيَّامِ وعددِها، فعبَّر بالمسِّ؛ لأنَّه أوَّلُ درجاتِ الأذى وأقلُّ تمكُّنًا من الإصَابَةِ، كنايةً عن خفَّةِ العذابِ وقلَّةِ زمانِه؛ وَفْق اعتقادِ اليهود، فكذّبَهم اللّٰهُ فيما قالُوا، وحكمَ عليهم بالبقاءِ في النَّارِ خالدينَ فيها، وليسَ أيَّامًا قليلةً.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»